مجلة آفاق علم الاجتماع المجلد 13 العدد 2 /ديسمبر 2023 ص ص 69- 88
ر ت م د: 1112-8259 ر ت م د إ: 2600-6855

البعد الاجتماعي عند أوغست كونت وتجليات السوسيولوجيا

The social dimension of Auguste Comte and the manifestations of sociology

د. مونيس أحمد*
جامعة البليدة 2- لونيسي علي، الجزائر
mounismourad65@gmail.com

د. طيفوري رحماني بوزينة أحمد
جامعة البليدة 2 - لونيسي علي، الجزائر
teifouri73@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:2023/05/30 تاريخ القبول:2023/12/28 تاريخ النشر:2023/12/31

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة معرفة العلاقة بين الفلسفة الوضعية والسوسيولوجيا.

لتحقيق هذا الهدف تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي، كما تم الإعتماد على أهم المراجع والدراسات العلمية التي كتبت في هذا الموضوع.

تشير أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة إلى وجود دور بارز وفعال للفلسفة الوضعية في بروز معالم السوسيولوجيا، والتي بفضل هذه الأخيرة مهدت للتفكير العلمي وحده مع إقصاء كل العناصر الميتافزيقية والتأملات اللاهوتية في التفكير.

الكلمات المفتاحية: فلسفة، ميتافزيقا، نظرية، فيزياء اجتماعية، تفكير عقلي.

Abstract:

This study aims to try to find out the relationship between positivist philosophy and sociology.

To achieve this object, the study employed the descriptive analytical method and adopted the most important references and scientific studies written on this subject.

The most important findings of the study indicate a prominent and effective role of positivist philosophy in the emergence of sociological features, which thanks to the latter paved the way for scientific thinking alone with the exclusion of all metaphysical elements and theological reflections in thinking.

Keywords: Philosophy, Metaphysics, Theory, Social Physics, Mental Thinking.

* المؤلف المرسل

- مقدمة

تمتد جذور الفلسفة الوضعية إلى العهد اليوناني القديم، بالضبط عند الذريين والسفسطائيين، وعند فرانسيس بيكون، وهي احدى فروع علم المعرفة، أو ما يصطلح عليه الابستمولوجيا، وظهرت على أساس كونها نقيض للتفكير الميتافيزيقي اللاهوتي الذي لا يؤمن بالمعرفة العقلية، وانما يخضع للسيطرة الكنيسية الكاثوليكية، لتكون بذلك الفلسفة الوضعية ردة فعل على هذه السيطرة، وتباشر بذلك على يد مجموعة من المفكرين والعلماء الذين يؤمنون بسلطة العقل في التفكير والبحث، وضرورة بلورة هذه التصورات الجديدة في قالب ومنهج علمي، مثله مثل العلوم الطبيعية والتجريبية التي تخضع لمبدأ الملاحظة والتجربة، ومن خلال جملة من المسائل والتقنيات الخاصة، وعلى هذا الأساس تبلورت فكرة الفيزياء الاجتماعية، وسادت فلسفة ديكارت في أوروبا كلها في حياته، وأما بعد مماته فكانت هي العنصر الأكبر الذي يشغل عقول الغربيين، وساد هذا التفكير أوربا كلها واصطلح عليه بتيار الدين الطبيعي، واعتبرت هذه الخبرة ذات أهمية في تشكيل هذا التيار، ليحوز على الكثير من الأتباع، الذين يترجم اتجاههم في كون الإنسان لديه القدرة بمعرفة كل مكوناته الدينية والأخلاقية من تجاربه وخبراته، والعقل عند هؤلاء يتعارض مع كل السلطات التي تخرج عن نطاقه(برهية، 1985، ص357).

1- إشكالية الدراسة

ظل المجتمع الأوربي لمراحل زمنية معتبرة في ظل هيمنة المجتمع البرجوازي الأوروبي العقائدي، حيث ساد الاعتقاد بأنه ليس في الإمكان أنفع مما كان، ولا توجد فائدة من محاولات النقد الاجتماعي والإصلاح، وذلك لأن الفرد ليس في مقدوره الوعي بمصالحه الحقيقية، والفلسفة اللاهوتية تتنافى مع مبادئ التغير والإصلاح والثورة، وكل خطوة نحوى التطور، ولكن مع بزوغ الثورة الصناعية الناتجة عن تلك الثورة العلمية، أدرك الأفراد أنه بالإمكان الوصول إلى التغيير وأن هذا التغير قد أتي كنتيجة للعقل البشري، ومن هنا برزت تصورات فلسفة التنوير من قاعدة نقدية عقلانية ، من خلال إدراك النظم الاجتماعية المختلف، سياسية، ودينية، واقتصادية وأخلاقية، ليقابلها النقد الموضوعي اعتمادا على معايير العقل وحده، ويطالبون بتغيير النظم التي تبدو غير منطقية أو غير متناسقة ومتماشية مع العقل، كما ساعد على بروز هذه الحركة النقدية وتطورها مجموعة من الظروف كالتقدم الكبير الذي حققته العلوم الطبيعية، والتطور الصناعي وما نتج عنه من تحولات معتبرة في بناء المجتمع كظهور فئات اجتماعية جديدة ممثلة في أصحاب الأعمال الصناعية، والعمال بصفة خاصة، والقضاء على العراقيل القديمة التي تم فرضها على حرية حركة العمل، والتي تعتبر عوائق سادت المجتمع الإقطاعي، والتي صاحبها بروز مشكلات جديدة ارتبطت بترقية المجتمع الصناعي بصفة عامة، كمظاهر الفقر وازدحام المراكز الصناعية، والظروف الصحية والاجتماعية المتدهورة التي كان يعيشها عمال المدن الكبرى، والأوضاع الاقتصادية السيئة للطبقة العاملة بصفة عامة وذلك بالإضافة إلى حركة الإصلاح الديني(طرابيشي، 2006، ص551).

من خلال مساهمة الفكر الفلسفي الوضعي، ومما جاء في هذا السياق يمكن طرح التساؤل التالي، إلى أي حد ساهمت الفلسفة الوضعية في بروز معالم السوسيولوجيا؟ وماهي الركائز الأساسية التي وضعتها هذه الفلسفة في ميدان السوسيولوجيا؟ وما أبرز المفكرين الذين وضعوا بصماتهم في الفكر السوسيولوجي؟.

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على مختلف التراكمات الفلسفية والفلسفة الوضعية على الخصوص، نظرا لأهميتها في بروز معالم السوسيولوجيا. وهذا إذا اعتبرنا أن الفلسفة الوضعية كانت تهدف الى غايتين أساسيتين وهما: الكشف عن قانون الحركة الاجتماعية وتنظيم المجتمع من خلال تنظيم الفكر والعقل الانساني. كما يهدف إلى ابراز معالم الفلسفة الوضعية والمتمثلة في الدعوة إلى إعادة التوازن والاستقرار للمجتمع الأوروبي أو الفرنسي بشكل خاص الذي هدمت الثورة الفرنسية بنيانه التقليدي بل قوضته وجعلته مسرحا للصراعات الاجتماعية والفكرية التي وجهت المجتمع الفرنسي والأوروبي إلى اتجاهات اجتماعية وايديولوجية شتى.

2- تحديد مفاهيم الدراسة

- مذهب الذري: موقف فلسفي يرى أن العالم مكون من عناصر ذرية منفصلة، ويختزل المعرفة إلى ملاحظة العناصر المتناهية في الصغر غير القابلة للانقسام مثل الكائنات الانسانية، ولكن ليسالبنى الاجتماعية أو النظم الاجتماعية. والمذهب الذري في صورته الخالصة يقول بأن العناصر الأساسية لا تتمتع بقوة علية، فالعلاقة بين هذه العناصر خارجية وعرضية ومع ذلك فإن رؤية المذهب الذري للمجتمع يمكن مزجها مع التفسير الطوعي للظواهر الاجتماعية.

- التنوير (التوعية): هو اتجاه اجتماعي سياسي ظهر في القرن الثامن عشر يحاول اصحابه إصلاح نواحي النقص في المجتمع بتغيير سلوكه وسياساته وأسلوب حياته بنشر مبادئ الخير والعدل والمعرفة.

- حركة النهضة: هي حركة تاريخية ظهرت في الفترة بين عامي 1400- 1600م وازدهرت أساسا في ايطاليا، وانطوت على إعادة الزيف الفكري الذي تضمنته الكتابات والتعاليم والنماذج الكلاسيكية، وبالتالي رفض أفكار و سلطات العصور الوسطى مثل السلطة المطلقة للبابا.

- العقلانية: يطرح مفهوم العقلانية مشاكل عديدة تتعلق بالتعريف، ومنه تستعمل العلوم الاجتماعية مفهوم العقلانية في عدة معان، يسمى الفعل عقلانيا عندما يكون موضوعيا، متكيفا بشكل جيد مع الاهداف التي يسعى اليها الشخص. فالعقلانية تعني في هذه الحالة التكيف الوسائل مع الغايات، أما في علم الاجتماع مفاهيم العقلانية بالنسبة للغايات (فيبر)، وبالفعل المنطقي(باريتو)، والأدواتي (بارسونز) هي عمليا مترادفات وتدل على فعل يستعمل وسائل متكيفة مع الغايات التي يسعى إليها. ولكن ماكس فيبر يدخل كذلك مفهوم العقلانية بالنسبة للقيم لوصف فعل لا يتكيف مع الغايات وإنما مع القيم(بودون، 1987، ص380).

- السوسيولوجيا: نشأت السيسيولوجيا في منتصف القرن التاسع عشر كعلم مستقل حول أنماط تطور ووظائف النظم الاجتماعية، ويعود سبب ظهور هذا العلم إلى تطور المعضلات في حقول العلوم الاجتماعية الى حد لم يعد من الممكن معالجتها بالوسائل التقليدية وضمن حدود النظام المعرفي القائم، وبالتالي لم يظهر هذا العلم لأن موضوعا جديدا للبحث قد برز على الساحة. ومنه تفترض الرؤية السوسيولوجيا للعالم أو (التفكير السوسيولوجي) على:

- نظرة إلى المجتمع ككل منتظم يعمل ويتطور تبعا لقوانينه الخاصة لا كشيء مترابط ميكانيكيا يفتح الباب أمام كل التنوعات الاعتباطية الممكنة للعناصر الاجتماعية المنفصلة.
- اتخاذ موقفا واعيا من دراسة العلاقات الاجتماعية القائمة بالفعل على عكس البناء الطوباوي لنظم اجتماعية مثالية.
- الاعتماد على الأساليب التجريبية في البحث(على الرغم من أن فهم هذه الأساليب قد تتنوع) على عكس البناءات الفلسفية التأملية.

وهذا بعدما صيغت هذه المقاربة تدريجيا في سياق الفلسفة الاجتماعية وفلسفة تاريخ العصر الحديث ومع تطور الدراسات التجريبية وتمايز العلوم الاجتماعية والانسانية(حيث تأثرت هذه العملية في العلوم الاجتماعية بالعلوم الطبيعية).

3- رواد الفلسفة الوضعية

3-1- أوغست كونت - ماهية الفلسفة الوضعية

3-1-1- مفهوم الفلسفة الوضعية:

تشكل الفلسفة الوضعية فرعا من فروع علم الابستمولوجيا، حيث برزت تحت أنقاض المقاربة المعرفية اللاهوتية والميتافيزيقية، اللذان يستندان على المعرفة العقائدية الفارغة من البراهين والحجج، وتعبر بذلك إحدى فلسفات العلوم التي تعتمد على الاتجاه الذي يعتقد، سواء في مجال العلوم الاجتماعية أو في ميدان العلوم الطبيعية، فالمعرفة الحقيقية هي تلك المعرفة والمعلومات المنبثقة من التجربة الحسية المادية، والمعالجات المنطقية والرياضية لمثل هذه البيانات، والتي تعتمد على الظواهر الطبيعية الحسية وخصائصها وطبيعة العلاقات بينها، والتي يمكن التأكد منها بالاعتماد على الدراسات الامبيريقية والحجج والبراهين التجريبية(طرابيشي، 2006، ص 540).

يعتبر الفيلسوف والمفكر الاجتماعي الفرنسي الشهير أوغست كونت أول من وضع مصطلح الوضعية، وقد أنتج هذا المصطلح في القرن التاسع عشر وهو بذلك يرى بأن العالم سيلحق لمرحلة من مستويات التفكير والثقافة إلى الحد الذي سيتم به، تجاهل كل المسائل ذات الصلة بالجوانب العقائدية والفلسفية، ليحافظ على المسائل العلمية فقط، التي تم إثباتها بالحس والشواهد الحسية، أو من خلال الاعتماد على البراهين والحجج القطعية والوضعية وفي ذلك الوقت سوف يتم الاستغناء على الأسس الدينية من مجالات المجتمعات الانسانية(شارلين وباتريشيا، د س ن، ص54).

كما يعتقد أوغست كونت بأن مصطلح الوضعي يدل على الواقع لذلك يعتبر متفقا تماما من هذه الناحية لمسألة الروح الفلسفية الجديدة، وهي الروح التي تتصف بالعلاقة مع الدراسات العلمية التي بإمكان العقل البشري الإلمام بها وإمكانية إدراكها، لذا فالوضعية حسب توجه أوغست كونت فلسفة جديدة واقعية وعلمية، باعتبارها مرتبطة بالبحث العلمي، ويمكن بذلك للتفكير الانساني أن يلم بها ويفهمها على عكس المسائل والأفكار الوهمية المبهمة وغير المفهومة، وفي هذا الأساس يتحتم ملاحظة الظواهر بالتشابه في وقت واحد أو بالتعاقب، ليتم الربط بين هذه الظواهر سواء بالتشابه أو بالتسلسل، كما يجب أن لا نضع في اعتبارنا البحث عن الأسباب المطلقة، ولا الطبيعة الجوهرية للأشياء، فخلاصة الفلسفة الوضعية هي أن نضع الشيء النسبي مكان المطلق(سيدني دارك، 1941، ص 23). ومنه تمثل الفلسفة الوضعية مدخلا فكريا حديث يتباين عن منطق التفكير الديني أو الفلسفي الذي يركز على حقيقة الأشياء، و بحث في الأفكار والتصورات المجردة التي لا تتصل بالواقع الاجتماعي، لذلك تعتبر من أهم فلسفات العلوم التي تعتمد على محورية العلوم الاجتماعية لكي تصبح كبقية العلوم الطبيعية والتجريبية، فيما يتصل بالمعرفة الفعلية، والتي تستمد بدورها حقائق منطقية من خلال الاستعانة بمبدأ التجربة والملاحظة المادية المدركة، وطبيعة الدراسات العلمية على النقيض من علوم اللاهوت والميتافيزيقا التي تستند على المعرفة الاعتقادية غير المؤكدة و لمؤسسة على قاعدة حجاجية منطقية، كما أنها أحيانا غير منهجية، ويعتقد أوغست كونت بأن العالم سيصل إلى مرحلة من الفكر و تقدم تتجاهل وتستبعد من خلالها القضايا الميتافيزيقية ولعقائدية، وتبقى القضايا العلمية المثبتة تجريبيا أو عن طريق الخبرة المادية. كما تهتم الفلسفة الوضعية أو المدرسة الوضعية بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية كنظيرتها في الظاهرة

الفيزيائية من خلال إقامة الدراسة على العينات الاجتماعية أي الأشخاص الذي يمثلون مجتمع الدراسة، ثم الوصول إلى مرحلة تعميم نتائج البحث على نطاق واسع في المجتمع بفعل مجموعة من الأدوات البحثية الكمية التي تعطي بدورها المصداقية للبحث قيد الدراسة(عادل العوا، 1986، ص189).

كما وضع أوغست كونت على ذمته امكانية إعادة إنتاج قيم جديدة للمجتمع المدمر الذي كان قد أسس على قاعدة من المعارف الطوباوية واللاهوتية، التي لا على أساس واقعي أو حقيقي لها، وإنما تعتمد على التفسيرات النمطية الميتافيزيقية الغير مؤسسة حسيا وإدراكيا، لتؤثر على نسيج المجتمع ككل وتخلق فيه مواطن الضعف والانحطاط، كما أكد على ضرورة انشاء أو اعداد معرفة علمية صحيحة من شأنها أن تكون أساس متين لإعادة بناء وتنظيم المجتمع بصورة مستحدثة، لذلك يجب فهم الطبيعة لكي يستطيع الانسان التحكم فيها والسيطرة عليها، ولا يتم تحقيق هذه الغاية بمسائل خيالية تتجاوز ما تقتضي الطبيعة، أو معاني نمطية وخيالية(وليم كيري لايت، 2010، 395).

3-1-2- عوامل بروز الفلسفة الوضعية:

في حقيقة الأمر امتداد الوضعية كاتجاه فكري قد حددت وتبلورت مؤشراته ومعالمه الأساسية في القرن الثامن عشر، غير أن هذا لا يتنافى بكون لديها جذورها العميقة في أعماق التراث الفكري لدي الذريين والسفسطائيين وفرنسيس بيكون. ويعتبر أن هذا التوجه الفكري يركز اهتماماته البحثية والإمبيريقية وتفسيراته للعالم على قواعد التجربة الحسية المادية بصفة خاصة، الأمر الذي لاقى اجماع من طرف المختصين والخبراء المهتمين بدراسة وتحليل الاتجاه الوضعي ومختلف المراحل التي مر بها في إطار النظرية السوسيولوجية، أي النظرية الاجتماعية، لذلك ما تم التعرف عليه في المجتمع اليوناني القديم اتجاهان هما الذريون والسفسطائيون، وإليهما تمتد جذور الفلسفة الوضعية(دارك،1941،ص3). وفيما يتصل بديمُقريطس على سبيل المثال، الذي يعتقد في مذهب الذرة أو الجزء الذي لا يتجزأ حلا وسطا بين مسألتي التغير والثبات، منطلقا من قناعة مؤداها بأن أغلب التحولات التي بإمكانها أن تطرأ في الطبيعة يمكن ايعازها إلى عمليات التقاطع والتباعد المستمرة للذرات، وفي حقيقة الأمر مجمل التخمينات التي أدلى بها ديمُقريطس ليتحدى من خلالها مفكري الذين عاصروه، لتظهر بذلك و بوضوح طبيعة ارتباطها بالوضعية الحديثة، أما ما يتصل بالسفسطائيون فقد واجهوا الأعمال الميتافيزيقية وحاولوا بذلك تأسيس لمجموعة من الأبحاث والدراسات التي ترتكز في جوهرها على مبدأ التجربة، ليجتهدوا بذلك في مسألة لملمة أكبر قدر ممكن من المعارف العلمية المتراكمة عن كل ما يتعلق بظروف الواقع الاجتماعي، ليستقر من خلال ذلك المنهج الذي اعتمدوه في هذا كله ليكون من خلال ذلك منهجا واقعيا استقرائيا بامتياز، لتحاول بذلك السفسطائية تركيز مواضيع تحليلاتها من خلال معيار الالتزام بمبدأ التجربة ذاتها لتؤكد الميل الواضح لإنشاء منهجا واقعيا يستقرأ كل مشكلات الواقع الاجتماعي الروتيني ويحاول بذلك ايجاد حلولا حقيقية لها(الحوالي، 1982، ص130).

3-1-3- تداعيات نشأة الفلسفة الوضعية:

من المسلم به أن أوربا عرفت من خلال ماضيها الحافل والطويل بظروف وتداعيات متنوعة تختص بها كان لها تأثير واضح وبشكل مباشر على مستويات المجالات الفكرية والفلسفية، وحتى المجال العقائدي الديني أيضا، بحيث كانت عاملا قويا في بروز معالم النزعة المادية والإلحادية، ولقد ارتبط كل هذا ارتباطا وثيقا بظهور الفلسفة الوضعية، وفتح المجال واسعا لها، لذلك وبصفة مؤكدة توجد العديد من العوامل والدوافع التي أدت في الأخير إلى نشأة الفلسفة الوضعية أو ما

يصطلح عليه باصطلاح الاتجاه الوضعي أو المذهب الوضعي ومن أهم هذه الأسباب والعوامل، يمكن ذكر ما يلي:

-عدم موافقة الاتجاه العقلي والمثالي في الفلسفة: من المتفق عليه بين المختصين والمهتمين بطبيعة النشأة التي أسست على اثرها الفلسفة الوضعية بأنها جاءت على أساس جملة من الانتقادات والمعارضات التي عرفتها أغلب الفلسفات والمذاهب التقليدية والمثالية والعقلانية، بداية بأفلاطون وصولا إلى كل من كانط، وهيجل في ألمانيا، وما يتعلق بمحتوى العقلانية الفرنسية عند ديكارت وفلاسفة عصر التنوير وكل هذه التوجهات الفلسفية تأسست على تصور مهم أو فكرة رئيسية مؤداها كون بأن للعقل لديه تصور قبلي للحقائق والمعاني والتصورات والأفكار اللازمة لمعرفة العالم الخارجي، أي تمكن من الوصول وبشكل مسبق على الاستعدادات السيكولوجية والعقلية بدون الاعتماد على مبدأ التجربة المادية، أو بالاعتماد على مرجعية الملاحظة المرتبطة بالواقع المعاش، ومن أبرز النماذج والمواضع المرتبطة بالمعارضة والنقد تلك التي وجهها أوغست كونت لفلسفة هيجل من خلال تأكيده على أن فلسفة هيجل سلبية باعتبارها فلسفة نقدية أي كل المبادئ التي أعلنها هيجل في فلسفته أدت إلى نقد كل شيء باعتبار أنها تنفي كل واقع لامعقول ولاعقلاني. كما أنها سلبية لأنها تبحث في إمكانيات الأشياء ولكنها عاجزة عن معرفة واقعها الفعلي، كما أطلق كونت صفة السلبية على فلسفة هيجل لأنها في نظره أعطت للعقل الفضل الكبير في تكوين المعارف والحقائق، متجاهلا في ذلك المعارف الحسية التي يمكننا أن نحصل عليها من التجربة والحواس والملاحظة الواقعية لعالم الأشياء المحيط بنا، كما شهد كل من ديكارت وفلاسفة عصر التنوير في فرنسا لمحاولات نقد واضحة من طرف أنصار الفلسفة الوضعية، بحيث أقدم ديكارت بمحاولة لتأسيس العلوم على قواعد وأسس ميتافيزيقية، على عكس ما كان يتمناه مؤسس الفلسفة الوضعية أوغست كونت الذي حاول بدوره أن يؤسس جدارا معنويا يقوم من خلاله بعملية الفصل بين مرحلة الميتافيزيقا ومرحلة العلم الجديدة التي تخلوا بصفة كاملة من الأفكار والتصورات الميتافيزيقية، أما فيما يتعلق بفلسفة الأنوار فلقد تأثر أوغست كونت بالهجوم الكبير لفولتير ضد الميتافيزيقيا(برهية، 1985، ص345).

- سيطرة وهيمنة الكنيسة على المشهد العام في أوروبا: قام الإمبراطور قسطنطين في العام 250-337 بإصدار مرسوما ملكيا ليؤكد به على مبادئ التسامح في الديانة المسيحية، وذلك بجعل من المسيحية الديانة الرسمية للدولة الرومانية، وأعطي أمرا ملكيا يتضمن تعظيم يوم الأحد، وغلق المعابد الوثنية ليحولها إلى كنائس، كما قام بإعفاء رجال الدين المسيحي من الجباية والضرائب، حتى أنه قام بالتدخل شخصيا من أجل حل المشكلات الكنسية، كما يعتبر الراعي الرسمي لعقد أول تجمع للماسونية في العالم في نيقيه العام 350م، ومنذ ذلك الحين تدرجت سيطرة رجال الدين المسيحي لتصل في الأخير هيمنتهم وترتفع على سلطة وكلمة الملك نفسه، لما يتمتعون به من نفوذ دنيوي فباتت الكنيسة التي أقرتها سلطة ذات نفوذ سياسي وديني أدار ظهره للمسيح وتعاليمه واندمج في العالم، فهم لا يعتبرون جزءا ممن خالفوا تقاليد الأناجيل، وذلك النفوذ الدنيوي والسياسي والديني مكنهم من:

- فرض الطاعة العمياء على الناس بإلزامية اتباع تعاليم الكنيسة دون سؤال أو استفسار ليعكف العامة في دخول واقع التقشف، وتحريم التمتع بالحياة، وأقنعوا العامة بضرورة تعذيب النفس بحرمانها من الملذات الدنيوية، بالنظر لما ينتظرهم في الآخرة.
- فرض نظم تربوية خاصة يلتزم بها التلاميذ في مدارسهم وحرمانهم من المراجع التي لا تتوافق مع رؤيتهم، وطرد المعلمين المخالفين لتعاليمهم.

- الاستنفار ومعاقبة على كل من يخرج على طاعة الكنيسة أو مجرد التفكير بالانفصال على سلطتها، وتعذيبه واقصاءه واهانته.
- القيام بسحن وتعذيب كل من يفكر مخالفة الأوامر، ليقتصر التفكير على ما تتم الموافقة عليه وبما يتماشى مع عقيدتها، فالعقل البشري لديه حدود للتفكير تتوقف في إطار ما يسمح به للكتاب المقدس، الذي تعود له الكلمة الفصل فيما يعتقد به العقل ويحكم، وعلى هذا الأساس كان الفلاسفة والمفكرون يتقيدون من خلال تقديم أعمالهم الفكرية بقرار الكنيسة وما يمكن أن يتناسب وفكرة الكتاب المقدس، بتكون لها قيمة في الدين المسيحي، باعتبار أن هذا هو فهم الكنيسة، الذي يعتبر مساويا لنص الكتاب المقدس من حيث معيار وقيمة القداسة(دارك، 1941، ص2-3).
- زاول رجال الكنيسة بدراسة الفلسفة اليونانية القديمة، ومزجها بالدين ليقع التباين خاصة فيما يتصل بشخصية المسيح، وهل يعتبر رسولا كما يعتقد الإسلام، أم أن الله تجسد فيه وتداخلت المسائل الدينية بالفلسفة لتحديد طبيعة المسيح ، لتمتزج بذلك المسيحية بكثير من الديانات الوثنية والفلسفات الوضعية، لينتج ذلك في الأخير انتشار تصورات غير سوية أثرت بشكل واسع في المجتمعات الغربية، ولم يقوى رجال الدين المسيحي على استحضار نمط فكري مناسب يكون مسؤولا على اشباع الحاجات الذهنية للمجتمعات الغربية.
- اعتبرت الكنيسة بأن البشر يتكونون من مكونين هما، النفس والجسد، وإن هناك صراعا أبديا بينهما حتى باعتبار الكمال الروحي الذي يهدف له الإنسان لا يتحقق إلا إذا خرجت الروح عن الجسد، وإن الكتاب المقدس جمع كل شيء ولم يبق لإعادة النظر تجسيدا بعد النصوص الدينية .
- اقترحت الكنيسة مجموعة من البيانات المتعلقة بالمجالات الجغرافية والتاريخية والطبيعية وأرجعتها إلى أصول دينية، ليقوم العلماء بانتقاد هذه البيانات، ليواجهوا مصيرا غامضا من طرف الكنيسة، وفي هذا الخصوص قامت بإعداد محاكم للتفتيش لمعاقبة المنفصلين عن تعاليمها، بالحرق وهم أحياء والقتل وتفننوا في أشكال التعذيب لكل المنتقدين(عمارة، 1995، ص7).

3-1-4- الفلسفة الوضعية والطفرة العلمية:

لقد أنتجت الثورة الصناعية في أوروبا تحولا كبيرا في كل مناحي الحياة، وتوفير أسباب الحياة الكريمة، الأمر الذي عزز اهتمامهم بالعلم والتفكير بعدما كانوا قد توصلوا إلى فشل الدين في تحقيق ذلك، بل اعتبروه أحد أهم العوامل التي سببت الانشقاق والصراع، ليتحول الناس بذلك ويؤمنوا بوجود أسلوب منفرد من شأنه تأكيد قيمها في العالم يتمثل في الأساليب العلمية، وعلى المجتمعات البشرية الاعتماد عليها، وكان كونت يرى في القرن التاسع عشر باعتباره مرحلة متأزمة شعارها التذبذبات في المشهد السياسي والاجتماعي على شكل خاص بعد الثورة الفرنسية، فالثورة بحسب كونت تعتبر أزمة لا بد منها، لكن لا بد من التفريق في هذه المرحلة العضوية، بين عاملين يقوم دي بونالد بالمزج بينهما، لذلك هو على حق بافتراضه بعدم تأسيس أية سلطة اجتماعية إلا على أساس عقيدة تشملها، لكنه يجانب الصواب باعتقاده أن المجتمع لا يمكن أن يؤسس سوى على غير الاعتقاد اللاهوتي، فالإصلاح لا يكفي باعتباره وظيفة رجال، على أساس الحالة التي تعرفها أوربا بعد الثورة فهي في حاجة ماسة إلى رجال العلم الذين لديهم القدرة على تحسين الحقل السياسي، وينعكس ذلك من خلال ضم السياسة إلى قطب العلوم القابلة للتغير والتعديل، وهذا كون

الفلسفة الوضعية أرادت الاستفادة من التطور العلمي لإصلاح أوضاع المجتمع، حيث يرى كونت لمواجهة هذه الأزمة العارمة التي تعصف بالمجتمع الأوروبي(برهية، 1985، ص355).

تشكل الفلسفة الوضعية في طبيعتها نتاج وخلاص لزمن متذبذب، والاضطرابات التي تخيف الإنسان صاحب الرؤية السديدة لعودة ماض غير محبوب، والشك المتواصل من مصير مجهول لا مرجى من تحديده بالإضافة إلى عدم الاستقرار، لذلك تربط الفلسفة الوضعية بين الاستقرار الذهني والاجتماعي باستقرار العلوم(طرابيشي، 2006، ص543).

2-3- المكون اليهودي في المجتمع الأوروبي

قامت الكنيسة الكاثوليكية بتحريم الوصول إلى المراكز القيادية في المجتمع المسيحي على الطائفة اليهودية، فضلا عن اضطهادهم وقصر الأعمال الوضيعة عليهم، بوضع موانع بين المجتمع المسيحي والطائفة اليهودية، فحطمت آمال اليهود، لتقوم هذه الطائفة باستغلال الفرصة لقلب الطاولة على أوروبا، فكانت أول أهدافها الثورة الفرنسية التي ترعرعت بشكل خاص في المعاقل الماسونية، بغرض دعم حركة هجرة اليهود إلى المجتمع الأوربي، كما عكفت الفئة اليهودية على جمع الأموال، ودعم الأبحاث العلمية أولا لتخرجها بعد ذلك من ثوبها العلمي وتطبيق تلك الدراسات على مجال الدين والأخلاق للعمل على افسادها وانحلالها(الحوالي، 1982ص130). ونشر قيم الإباحة والإلحاد، ويبرز ذلك بشكل جلي من خلال تطبيق نظرية دارون، سبنسر، وماركس، وتثبيت ركائز المنهج المادي والعمل على نشر المنهج الوضعي التجريبي، وعزل الدين بمفهومه المسيحي عن المنهج المتصل بالتنشئة الاجتماعية وسلم القيم الأخلاقية في المجتمع(الجندي، 1986، ص330).

3-2-1- الفعل الاتصالي بين الأوروبيين والمسلمين

قام الأوربيون بالاتصال بالمسلمين في تلك الفترة بشكل وثيق، وذلك عن طريق التجارة وعن طريق الحروب الصليبية، وعن طريق تلقي كثير من الأوربيين التعليم في المدارس الإسلامية خاصة في الأندلس ليتمكن الأوربيين من اكتشاف الروح الإسلامية التي تحترم الإنسان وتحترم تفكيره، وتؤكد عليه تحكيم العقل قبل الإيمان بالدين وتعلمه، لذلك فالإيمان المقلد غير مقبول إلا من طرف العاجز عن التفكير، وتطلب من الفرد أن يستغل الطبيعة لصالح الإنسان ومن أجل ذلك تطورت التصورات العلمية عند المسلمين، فاحترموا العلم والعلماء، وعملوا على تشجيعهم، وفرق المسلمون بين ميدانين في المعرفة، وهما ميدان العلوم الطبيعة وميدان ما وراء الطبيعة، ليدركوا أن المنهج المناسب للبحث في الطبيعة هو منهج التجربة والملاحظة، ومارسوا ذلك فعلا، ووصلوا إلى كثير من الحقائق العلمية عن طريق ذلك المنهج، ليتصل الأوربيون بالمسلمين ويدركوا ذلك، ودرس كثير منهم في الأندلس ونقلوا التراث الإسلامي إلى لغاتهم، حتى إن روجر بيكون نفسه الذي نشر المنهج التجريبي، اعترف بكونه طالب للعرب المسلمين، وكان لعلماء المسلمين الأسبقية في تقديم كثير من المناهج العلمية الحديثة للغرب ليقيموا دولتهم على أسس علمية وكذلك قدم المسلمون الاكتشافات والاختراعات والنظريات(زغاريد هونكا، 199، ص91).

3-2-2- تداعيات الثورة الصناعية في أوروبا

كل ما سبق أنتج قناعة لدي فئة معتبرة من الباحثين، ومن ورائهم عدد من الأفراد المواطنين بضرورة التخلص من هيمنة الكنيسة، مثل التي قام بها مارتن لوثر، حينما حاولوا مواجهة تعاليم البابا التي كانوا يصطلحون عليها توجيهات الشيطان، كعقيدة التثليث، وما يتصل ببيع صكوك الغفران، والاعتراف بالخطيئة، لتندلع حرب كبيرة بينهم، ليشتد الصراع بين الدين والعلم

بحلول القرن التاسع عشر الذي اصطلح عليه عصر سيادة الحس، الذي يعتبر الواقع أو الطبيعة منبع كل المعارف لتسيطر الطبيعة على الدين والعقل، واعتبار عقل البشر نتاج الطبيعة، وسبيلهم، ينطلق من الفردانية ليصل إلى الجماعة التي يفترض على الفرد الاندماج معها، والطبيعة بدورها هي المسؤولة على ابراز الحقيقة وغرسها في الذهن، وقد بزغ نجم المفكر دارون الذي وضع كتابه أصل الأنواع سنة 1859، وكتابه الآخر أصل الإنسان سنة 1817، ليرتفع النزاع وتكبر الخصومات بين دارون وبين الكنيسة التي كفرته، ليصطف الناس بداية بجانب الكنيسة، ولكن سرعان ما تغير موقفهم بشكل تدريجي ليقفوا بجانب دارون، حيث تأكد العامة أن هذه فرصة مواتية من أجل القضاء على هيمنة اللاهوت الكنسي وكان دارون قد أنكر تدخل الله في عملية النشوء والارتقاء، بحيث اعتبر أن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي أولي(الجندي، 1986، ص332).

وقد برز بعده كارل ما ركس الذي أكد على مبدأ الإلحاد من خلال دراساته في الاقتصاد، فهو يعتقد أن الدين، والقيم الروحية، والأخلاقية، والسلوك ماهي إلا نتاج لقوانين المادة، بارتباط ماضي البشرية جمعاء بالبحث عن الطعام، وحدد في المنيفستو محتوى البيان الشيوعي الذي أقر تلك الاحتياجات الأساسية للإنسان المتمثلة في، الطعام، والمأوى والحاجات الجنسية واعتبار الدين أفيون البشرية، وتم الاستعانة بمختلف هذه المقاربات من أجل إقناع العامة والخاصة من الناس للقضاء بشكل نهائي على هيمنة الدين واللاهوت الكنسي، لتبرز الفلسفة الوضعية كبديل حقيقي من حيث كونها ذات بعد عقلي وتفسير علمي للمتغيرات الاجتماعية والأخلاقية(زغاريد هونكا، 1991، ص91).

3-2-3- الفترة الانتقالية:

تواصلت هذه الفترة بشكل تقريبي من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر، حيث كان للعوامل السابقة أثر عميق في تغير الفكر الأوروبي من وضعية الجمود والركود إلى وضعية الرقي والتطور، لينطلق اشعاع الحياة والفكر يتفاعل بشكل رهيب، وبرزت العلوم في المجتمع الأوروبي، لتقوم الثورة الفرنسية، التي نال بها العلم ثقة العقل البشري، بل اتشرت الأفكار بأن بإمكان العلم الإحاطة الشاملة بكل تساؤل، وفي مختلف الوضعيات والأشكال التي يكو فيها الفرد يتطلب عليه أن يستفسر العالم ليقدم له الرد الشافي والكافي.

وبداية من هذه المرحلة بات العلم يضطلع بمهام اجتماعية في الأمس القريب كانت من مهام الدين وتتمثل خاصة في مهمة توفير الراحة النفسية، وعندما كان الدين متوافقا مع العلم كان يهدف إلى توافق عقلية الانسان مع الحقيقة العلمية، ومنذ تلك المرحلة بات من الصعب مواجهة العلم الحقيقي وليس العلم النظري فقط. وحل القرن السابع عشر والصراع بين الدين والعلم على أوجه، وحاول ديكارت أن يتعامل مع المشكلة السائدة بين العلم والدين، وذلك بإحداث القطيعة بين مواضيع كل منهما عن الآخر، فمجال العلم والطبيعة، وموضوعه استعمال القوي الطبيعية، وتقنياته الرياضة والتجربة، وفي الطرف الآخر الدين، المختص بمصير الناس في العالم الآخر، ويرتكز على معتقدات محددة في غاية البساطة وبعيدة عن المسائل اللاهوتية المعقدة التي يدرسها الآباء وتقوم عليها الكنيسة، من دون هيمنة أحدهما على الآخر، وعلى هذا الأساس غلب عقل الفرد ليصبح العقل البشري المقياس الحقيقي لمعرفة الحقيقة(طرابشي، 2006، ص553). ففي عصر النهضة انطلق العلم من دون قيود تعطل عمله ليسود في زمن ديكارت نزعتان أساسيتان وهما، الفردانية العنيفة التي كانت تركز على العقل الفردي باعتباره مقياس كل شيء، والنزعة الأخرى هي نزعة العلم الآلي، فظهر ديكارت وجسدها تجسيدا فلسفيا، ليجعل من العقل البشري مقياس كل شيء،

وحول الفردية وأسسها على معيار معقول، بعد أن كانت تشكل نوع من التمرد كما ساهم مساهمة فعاله وخصص له فلسفة تحميه.

اسمه الكامل أوجست إيزيدور ماري فرانسوا كزافييه كونت، ولد في مونبلييه بفرنسا العام 1798 توفي العام 1857 ربته والدته على الديانة الكاثوليكية ,تتلمذ على يد أستاذه سان سيمون وكان ما جذبه إليه هو فكرة غلبة الصناعة غير القابلة أصلا للفصل عن العلم ويعد" كونت "ابن عصر التنوير، جرى على تجسيد أدبيات فلاسفة التقدم في أواخر القرن الثامن عشر، كما تضايق كونت من اشكالية عدم الاستقرار الذي ميز النظام الاجتماعي، ليطلب في الأخير بشكل جدي توفير عناصر النظام والتضامن، والأمن، واضافة إلى أن كونت ترعرع في إطار مراحل متباينة تميزت في أغلبها بسياسة الثورة التي تقابلها ثورة أخرى بشكل عكسي، ليعيش ظروف الديموقراطية، والديكتاتورية، وكلها وبدون شك أثرت إلى حد كبير في مستويات تقدير وتفكير كونت وتخميناته للعلم الجديد، منهجا وموضوعا وهدفا(عبد المعطي، 1981، ص60). من أشهر أعماله، مؤلفه المتضمن دروس في الفلسفة الوضعية سنة الي نشره العام 1830، يتألف من ستة أجزاء، ومؤلفه المعنون دروس في الروح الوضعية، الذي ألفه في العام 1842، كما يضاف لها كتابه الموسوم نسق السياسة الوضعية المقسم إلى أربعة أعداد تم نشرها العام 1851، وقد الف كتاب عقيدة الدين الوضعي العام 1852 ومؤلفه الآخر المتضمن التركيب أو التأليف الموضوعي " الذي أعده العام 4856، وذلك قبل وفاته بسنة واحدة فقط كما يحسب له أيضا حسب الكثيرين أنه يعود له الفضل في تأسيس علم الاجتماع الحديث، ويعتبر من أهم وأعظم فلاسفة النظرية الوضعية، وقد تعارف عليه أنه من أشد المعارضين لمبدأ الفلسفات المثالية والمذهب العقلاني، من خلال النقد المستمر لأعمالهم كما اصطدم بشكل كبير مع توجهات النظريات اللاهوتية والميتافيزيقية القديمة، ليصب كامل اهتماماته في دراسة وتحليل العلم الوضعي، ليجتهد في ذلك من خلال توثيق العلاقة مع كل من الأخلاق والفلسفة دون اغفال الإطار العقائدي الديني(عبد المعطي، 1993، ص8). ومما يمكن الاشارة إليه أن كونت قام بعملية تصنيف لستة علوم اعتبرها رئيسية، وقام بتصنيفها وترتيبها بالشكل التالي: الرياضيات، علم الفلك، علم الطبيعة، علم الكيمياء، علم الحياة، علم الاجتماع، ويعتقد أن هذه العلوم هي علوم تم اكتسابها على أساس عملية استقرائية، من خلال دراسة وتحليل الواقع للوصول إلى نتائج ملموسة واستنادا على هذا يعتبر الفلسفة الوضعية مجموعة لجملة من العلوم الواقعية، ليكون تتويج كل العلوم وبشكل خاص بعلم الاجتماع، وهو العلم الذي يهتم بدراسة المجتمعات والظواهر الاجتماعية على أساس وبشكل موضوعي، والطبيعية، لذلك توجب اعتماد تجسيد قواعد المنهج الموضوعي في دراسة وتحليل والتعامل مع مختلف الظواهر الاجتماعية، بالكيفية التي تعمل بمبدأ الملاحظة الموضوعية الهادفة(قباري، 1989، ص89).

مما تجدر الاشارة إليه أن أوجست كونت هو مؤسس علم الاجتماع وتوج به بقية العلوم ووضع له منهجا استقرائيا قاعدته الرئيسية مبنية على معيار الملاحظة الهادفة العلمية، ويولي هذا العلم أهمية بالغة لدراسة ووصف وتحليل مختلف الظواهر الاجتماعية التي لها صيت في المجتمع، كما تتمحور بشكل أساسي مواضيع والمسائل ذات صلة بعلم الاجتماع من خلال دراسة الظواهر الاجتماعية العقلية والثقافية والسياسية والدينية والأخلاقية...، السائدة في المجتمع، باعتبارها الركيزة القاعدية الهامة والهادفة التي تؤسس عليها الجماعات الاجتماعية لتتحول وتتغير للأحسن، وما يتصل بموضوع المعالجة والذي يشكل الأهمية القصوى رؤية كونت للأخلاق أو ما يصطلح عليه بالفلسفة الأخلاقية، بالاعتماد على علمه الوضعي أو فلسفته الوضعية، على أساس كونه من أشهر رواد المدرسة الوضعية ومؤسس علم الاجتماع بشكله الحديث المعروف، كما عكف وغست كونت من خلال اهتمامه بأساليب تطبيق اصلاحات اجتماعية من أجل قليص الظواهر ذات الصلة

بالعنف والفساد والرشوة ، لتفشي وانتشار سلوكيات ومظاهر منحرفة تتضمن مظاهر الفساد في مختلف نواحي واقعه الاجتماعي، وتلك العوامل والظروف الأساسية المتسببة بشكل مباشر وغير مباشر في تفشي انحراف الأخلاق وفسادها، وهذا حسبه يرجع بالدرجة الأولى إلى انتشار سلوك وثقافة الفساد على المستويات الذهنية من جهة وتذبذب أساليب التفكير السوي والصحيح من ناحية أخرى(عبد المعطي، 1993، ص12). ليجعل كونت هدفه الأسمى والأعلى البحث على السبل الكفيلة التي تعمل على اصلاح الحالة الخطيرة والوضعية الصعبة التي يعيشها المجتمع الذي يعيش فيه، المملوء بالصور والنماذج السلبية التي تدفع للفوضى والاضطرابات، وبعد الثورة التاريخية التي شهدتها فرنسا على يد نابليون بونابرت، والتي تعتبر في الحقيقة ردة فعل طبيعية اتسمت بمجموعة من الشعارات الوطنية التي ترمز للعدالة والأخوة والمساواة والتي ركزت على محاربة الاضطهاد من جهة والسلطة والهيمنة المخولة للكنيسة ورجال الدين من ناحية أخرى، مما أنتج مظاهر غلو الكنيسة وعزز من فسادها، وعدم صلاحية تعاليمها الدينية مما صنع في الأخير حسب كونت فساد أخلاق الأفراد في المجتمع الأمر الذي ساهم بقوة في انحلال المجتمع بصورة جماعية وفعلية(بوتول 1981، ص86).

أما فيما يتعلق بالوضعية والأسلوب الذي يجب على علم الاجتماع اتباعه في مثل هذه المواقف استخدام تقنيات الملاحظة والاستدلال، ويعتبر هذا التوجه ذي علاقة لدى أوغست كونت بمقاربة كلية لمسألة الرقي النفسي، بحيث تركز هذه النظرية التي يصطلح عليها باصطلاح قانون الحالات الثلاثة، على اعتبار الأشخاص يعبرون على ثلاثة مراحل أو خطوات متباينة من أجل الوصول إلى ادراك وتفسير العالم الخارجي، بشكل متعاقب ومستمر، وتعتبر الوضعية التي كان فيها الإنسان المتعلقة بالحالة اللاهوتية أو العقائدية الدينية، بحيث يعتمد فيها الفرد لتفسير الأشياء من خلال الرجوع إلى قوى خفية، لها قدرات خارقة للطبيعة تتوافق مع مشاهد السحر والشعوذة، ويبرز خاصة هذا النمط من التفكير لدى المجتمعات القديمة، حينما كانت هذه المجتمعات تخاف من قوى الطبيعة، بل وحتى تصل إلى درجة تقديسها، من خلال عبادتها، أما في الحالة أو الوضعية الميتافيزيقية، كان فيها الانسان يفسر مختلف المسائل والقضايا بالاعتماد على منبهات وعوامل تتميز بعدم الوضوح والغموض ذات طبيعة مجردة ليست لها دلالات ملموسة على الأشياء، وفي هذه المرحلة حاول البشر التحول إلى الاعتماد على مصطلحات ومفاهيم أدنى من المرحلة الأولى، من خلال استبدال العوامل الأولية، بالأخرى المرتبطة بخاصية العمومية، فعقيدة الشعوب تعتبر أكثر قوة وسلطة من جملة الحقائق التي يفترض عليها الولوج تحت راية مبادئ معينة ، كالتصور المرتبط بصور الحرية المطلقة وطبيعة الفضيلة المتكاملة(عبد المعطي، 1993، ص14-15).

أما المرحلة الثالثة يصطلح عليها بالمرحلة الوضعية، التي تؤسس على فهم وتحليل و تفسير كل المسائل بصيغة علمية تعتمد على مبدأ التفكير والتخمين المنطقي من خلال اخضاع هذه الأشياء لمراحل التجربة والملاحظة الحسية، كما أنها ارتبطت بالعالم المحسوس والملموس أي عالم الأشياء وليس عالم اليوتوبيا، ويقوم معيار الأخلاق عند أوغست كونت على العلم الوضعي، ونتيجة لذلك فهي تحقق خصائصه الأساسية، وبذلك تتقاطع وتتوافق مع مبدأ الحقيقية، وتفسير ذلك يرجع أنها تقوم على الملاحظة لا على الخيال، وتتعامل مع الإنسان، كما هو كائن بالفعل، وليس كما تتصوره أن يكون، في إطار التعامل مع ما هو كائن وليس ما يجب أن يكون وهي قاعدة عامة للبحث في علم الاجتماع، وهي تعتمد بذلك على الخبرات التي أحرزتها البشرية عن طريق الميول التي سارت فيها والدوافع التي دفعتها لأنواع النشاط الحسي المدرك، كما يعتبر أوغست كونت معيار الأخلاق الذي يجمع بين الإطار العقلي والمجال الانفعالي في الإنسان، بحيث يتم تفعيلها من خلال العواطف المرتبطة بالحب والتساند والتعاون، المعبر عنها بتلك العاطفة الاجتماعية، لترتبط وتختلط بمعايير

الواجب والفرض المشار إليه بفكر الالتزام السلوكي للإنسان باعتبار المهمة الأسمى للأخلاق خلق ثوابت ومعايير ملزمة لسلوكيات وتصرفات الانسان(بوتول، 1981، ص87-88).

3-3- ليفي برول

ولد برول ليفي في باريس، العام 1857، وتوفي العام 1939، اهتم بالقضايا ذات الصلة بطبيعة الأخلاق الاجتماعية، والتاريخ والفلسفة، غم أن كان شديد التأثر بإميل دوركايم إلا أنه شق طريق في السيسيولوجيا، لينشئ بذلك مسار علميا وأكاديميا خاص به، كان يعتبر الأخلاق بأنها فن السلوك، باعتبارها فنا علميا ذهنيا ، بحيث أكد على أنه لا توجد أخلاق نظرية بل يستحيل وجودها. من أهم وأشهر مؤلفاته كانت على الاطلاق ، فلسفة أوجست كونت العام 1900، ومؤلفه المتعلق بالأخلاق، وعلم العادات الأخلاقية العام الذي ألفه في العام 1903، ولم يخرج ليفي برول كثيرا على المسار الذي هندسه أوغست كونت، أو إميل دوركايم، من خلال سعيهم لوضع الأخلاق كعلم قائما بذاته، يتناول في حيثياته كل من الإنسان والمجتمع على حد سواء، ويسجل له أيضا رفضه ومعارضته الشديدة للمبادئ الأخلاقية القائمة على أسس لاهوتية ميتافيزيقية، بل تبنى الأخلاق على أسس اجتماعية، من خلال ربها بالعلوم الطبيعية على حد تعبيره، اعتمادا على تجسيد رؤية المنهج التجريبي والاستقرائي في الدراسات والبحوث المرتبطة بالأخلاق الاجتماعية، لوصل إلى بناء قاعدة صلبة لعلم الأخلاق الوضعي الذي يهتم بتحليل ووصف ودراسة عادات الإنسان السائدة في المجتمع في فترة زمانية معينة، بغية تشكيل القواعد التي تضبط هذا السلوك الإنساني وهذا ما يمكن الاستدلال به من خلال عملية جمع المعلومات والمعطيات اللازمة من مفردات عينة الدراسة من أجل الوصول إلى النتائج النهائية(رايت، 2010، ص97).

كانت نقطة البداية أو الانطلاقة بالنسبة ليفي برول في مؤلفه الموسوم الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية العام 1903 من وجهة النظر السيسيولوجيا لينفي إمكانية وجود شيء من قبيل ما يقصده الفلاسفة بالأخلاق النظرية أي علم قواعد للعمل والسلوك مبنية عل طبيعة إنسانية متماثلة ومؤلفة كلا واحدا متساوقا، وعلى العكس من ذلك هناك أخلاق عملية يمكن للعلم أن يدرسها كما تدرس الواقعة، واذا كان هذا العلم متقدما بما فيه الكفاية فثمة إمكانية لأن يضاف إليه فن عقلي يكون لعلوم العادات الخلقية كالطب لعلم الأحياء لقد نظر"ليفي برول" إلى الأخلاق من وجهة نظر سوسيولوجية اجتماعية واعترض على ما يسمى بالأخلاق النظرية التي تتصف بأنها كلية وواحدة. ويمكن تعويضها بالأخلاق العلمية التي ارتبطت بالعلم ويمكن تحليلها وفق دراسة علمية وواقعية كما تدرس أي وقائع أخرى والعلم الحديث جدير بأن يفيد الأخلاق لأنه سيمكننا من إضافة فن عقلي للعادات الخلقية يكون بمثابة الطب لعلم الأحياء أي يكون أسلوبا جديد للتطرق إلى الأخلاق والعادات الخلقية وبعيدا عن طريق التنظير.

كما اعتبر ليفي برول الأخلاق علما وضعيا يهتم بالبحث ودراسة العادات والتقاليد والمعتقدات، وكل ما يتصل بسلوكيات جماعة اجتماعية في مجتمع معين وفي زمن محدد، يستعين هذا العلم بالمنهج الاستقرائي والهدف من كل هذا هو التأكيد على تعليمات التي تدعم وترقي الأفراد والمجتمع، في الواقع العلمي المحسوس والسائد في مؤلفه عن الأخلاق بانتقاده الأخلاق النظرية واقتراحه بديلا مناسبا لها، بالتركيز على علم للأخلاق ويؤسس نقده إلى ثلاثة محاور، الأول اعتبار فلسفة الأخلاق كونها علم معياري يحدد ما ينبغي أن تكون عليه الأفعال الإنسانية، في الوقت الذي يعتبر فيه أن العلم يهتم بدراسة وضعية الظواهر وقوانينها. فالتصور المرتبط بالعلم المعياري يعتمد على مجموعة من التناقضات، المحور الثاني يتعلق بكون الفلاسفة يتباينون في المبادئ لكن يتقاطعون مع ذلك في قواعد السلوك، وهذا يدل على وجود علاقة بين القواعد المبادئ التي يدعون

أنهم يستخلصونها، حيث لها علاقة منطقية، وتعتبر الأخلاق الفلسفية كما يؤكد ليفي برول بأنه في الوقت الذي تركز على تجسيد ما يجب أن يكون لا يمكن الانتباه إلى الحقيقة الخلقية، كما تنظر العلوم الطبيعية إلى الظواهر التي تدرسها، ولا يعطيها هذا الأمر حرية التصرف في البحث العلمي الفعال ولما هو موجود بشكل فعلي.

وأبرز ليفي برول أن الحقيقة الخلقية من وجهة نظر الأخلاق الفلسفية، تتباين على الحقيقة الخلقية كما هو في العلوم الطبيعية، باعتبار هذه الأخيرة ترى إلى ما هو موجود بالفعل، ولا تقوم بإعداد القرارات لما يجب أن يكون عليه الحال في المستقبل لكونها بحوث ترتبط بالفترة القائمة، وهذا ما يعزز سلوكه الفرد ويوجهه، ويعتبر معدل تأثيرها على الحقيقة الفلسفية الاجمالية ذي بعد إيجابي حيث كلما تنوعت وارتقت الخبرات المعرفية ارتفعت القدرة في الحياة، وهذا قابل للتعديل مع تطور العلم وتغير المجال الزماني والمكاني، على اعتبار القاعدة الذي تخضع لها الأخلاق الوضعية بصفة خاصة، والحقيقة في الفلسفة الوضعية بشكل عام. ليخلص ليفي برول إلى اعتبار الأخلاق سلوكا، لذلك فالأخلاق تتباين بتباين المجتمعات، وظروفها، والأخلاق في مجملها تعد طبيعية، سواء في ذلك أخلاق المجتمعات المتخلفة وأخلاق المجتمعات المتخضرة(برهية، 1985، ص360).

4- معالم بروز النظرية السيسيولوجيا

4-1- مفهوم النظرية السيسيولوجيا:

هناك تباين في المفاهيم المقدمة حول النظرية، ويعود إلى تباين الواقع الاجتماعي النوعي والطبيعي، واختلاف المجتمعات المدروسة الفترة الزمنية، وإلى استخدام المنهج من منظر إلى آخر، ويمكن تقديم تحدي" بوتومور لطبيعة النظرية في علم الاجتماع من خلال أهمية أثرها نحو إقامة تعميمات واسعة من الارتباطات الإمبيريقية التي أمكن التوصل إليها، بحيث تخضع هذه التعميمات للاختبار عن طريق بحوث مستقبلية(عبد الله محمد، 2003، ص60)

4-2- خصائص النظرية:

يعد تحديد معنى النظرية السيسيولوجيا، بالنظر لبعض الخصائص التي تميزها، والتي تكشف عن طبيعة ومكونات هذه النظرية ووظائفها العامة، وكذلك شروطها التي تتوفر فيها:

- **عناصر النظرية:** تتحدد طبيعة مكونات النظرية باعتبارها نسق استنباطي يتضمن مجموعة من الفروض التي تحتل مكانة للمقدمات وأخرى للنتائج التي يتوصل إليها، كما تشمل النظرية أيضا مجموعة من المفاهيم والقضايا والقوانين، التي يمكن التوصل إليها، وصياغة التعميمات عليها، بأن تكون بخاصية الشمولية.
- **متطلبات النظرية** يجب أن تكون النظرية واضحة ومحددة وموجزة وشاملة وقابلة للاختيار، وقادرة على التنبؤ العلمي، ولعل من أهم المتطلبات التي وجدت للنظرية هي، وضوح المفاهيم، وتناسق الأفكار واستنتاج القوانين.
- **مميزات النظرية:** تعتبر النظرية بمثابة الإطار الفكري التصوري الذي يجمع الحقائق والمعارف والنتائج التي يتوصل إليها الدراسون، ومن ثم تبرز مميزات النظرية كونها تعمل على تجميع هذه الحقائق بأسلوب بسيط، يمكن إعادة صياغته ودراسته، وأخيرا تتسم بميزة، المرونة والتغيير والتجديد.
- **وظائف النظرية:** للنظرية السيسيولوجيا مجموعة من الوظائف التي تؤديها لخدمة البحث العلمي، ولقد طرحت هذه الوظائف في مؤلفات الكثير من العلماء وتعتبر النظرية السيسيولوجيا من

المقاربات التي يتممن خلالها تحديد أنواع البيانات وتفريغها، لكي يتم تقديم إطار تصوري يقوم بتنظيم وتصنيف الظواهر المدروسة، كما تعزز على التنبؤ، وتقوم كذلك بتوجيه عملية البحث الاجتماعي وهي مصدر رئيسي لصياغة الفرضيات، وأحد مكونات الإطار المرجعي لتفسير نتائج البحوث والدراسات(معن، 1997، ص24).

4-3- طبيعة النظرية:

يعد استعراض أهم الخصائص والسمات التي تتميز بها النظرية في علم الاجتماع من حيث المكونات والشروط وكذلك الخصائص والوظائف، بحيث توجد في هذه النظرية معايير تجعلها منها أكثر تميزا وتحديدا وتقديما، سواء للمهتمين بدراستها وتحليلها من المختصين في علم الاجتماع أو بالأحرى في مجال النظرية السيسيولوجيا، وهذا ما يدفع نحوى دراسة الدور الذي تلعبه النظرية السيسيولوجيا في تطوير وتحديث تناول الظواهر والمشكلات السيسيولوجيا، وأساليب تفسيرها من الناحية الواقعية ، لذلك فالنظرية السيسيولوجيا تنتج نوع من العلاقات بين الشق النظري وكذلك بالنسبة لإطار الإمبيريقي في نفس الوقت، وعند التطرق بالتحليل لطبيعة النظرية السيسيولوجيا، لا يمكن الاكتفاء بتفحص نقاط الاختلاف والتشابه بين هذه النظرية والنظرية العلمية، أو التأكد دورها الوظيفي في سبيل تطوير علم الاجتماع وفروعه والعلوم الاجتماعية والإنسانية، لكن يجب إدراك جملة العراقيل والمشكلات التي تكون عرضة لها، مثل معرفة إلى أي حد تواجه النظرية السيسيولوجيا كنظرية علمية العديد من الصعوبات والمشكلات التي تواجهها عند دراسة الظواهر الاجتماعية.

وتمثل النظرية السيسيولوجيا بناء يتكون من أسس ومبادئ عامة تقوم عليها، والتي تضفي عليها صفة النظرية السيسيولوجيا بكل ما تحمله هذه الكلمة من مميزات وخصائص يقيمها علم الاجتماع عامة(عبد الله محمد، 2003، ص64).

4-4- الهندسة الفكرية والمنهجية للنظرية السيسيولوجيا

4-4-1- الهندسة الفكرية

- اشكالية المناهج في علم الاجتماع: تعتبر النظرية إحدى أبرز المكونات الرئيسية للمعرفة العلمية في علم الاجتماع، وهذا يدفع إلى التأكد من وجود تباينات جوهرية بين النظرية السيسيولوجيا والنظرية العلمية، فالنظرية العلمية تتكون من كل مجالات المعرفة العلمية المرغوبة، بينما تمثل النظرية السيسيولوجيا فرعا من فروع المعرفة العلمية، وعلم الاجتماع منذ لحظة نشأته الأولى سعى إلى معرفة الأساليب التي تعزز امكانية الوصول إلى جملة من النتائج التي تتسم بمعيار الموضوعية، ويمكن تحديد هذه الأساليب اعتمادا على تعيين الإطار المنهجي والمشكلات النظرية التي ترتبط بتفسير الظواهر الاجتماعية، أو ما يمكن أن نسميه ببناء المنهج التجريبي وبناء النظرية السيسيولوجيا.

وقد حصل الاختيار في البداية على أساليب ومناهج العلوم الطبيعية التي أثبتت فعاليتها المعرفية والإبستمولوجيا، وتتلخص مشكلة المنهج في علم الاجتماع حول سبيل استعمال التجربة الميدانية في الدراسة والتحليل، حيث انعطفت العديد من البحوث إلى اعتماد المنهج الكمي في البحوث الإمبيريقية، وهناك بحوث أخرى تجمع بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي في آن واحد، (رمزي، 1999، ص68). وهذا ما استدعى من المشتغلين في الحقل الاجتماعي والنظرية إلى البحث عن نموذج تصوري يحدد العلاقة بينهما، حيث يعتمد البحث الاجتماعي على عملية تقييم طبيعة المقاربات النظرية من أجل التأكد من مستويات فعاليتها وتوافقها مع الواقع الاجتماعي، وهذا

ينتج بوادر أزمة في المنهج في علم الاجتماع تفسر بشدة الصراع بين موقفين، الأول يتبنى اتجاه التفريق بين العوامل الذاتية التي يكمن أن تعرقل الفهم الموضوعي للواقع الاجتماعي، ويطالب باعتماد الاحصاء، والرياضيات للوصول إلى نتائج أكاديمية، أما الموقف **الثاني** لا يوافق هذا الطرح، ويرفض تصور الأفراد كوحدات إحصائية، ويطالب بتفسير المستويات القيمية والرمزية التي يبنى عليها الواقع الاجتماعي.

- هندسة الإطار العام للنظرية: يتوفر علم الاجتماع على العديد من النماذج النظرية، احتلت مرتبة مرموقة في إطار دراسة النظم الاجتماعية، كما أثرت في ترقية النظرية السوسيولوجية، ويمكن التفريق بين مدخلين هامين في علم الاجتماع، هما متناقضين، فالأول له علاقة بالتفسير الماركسي، الذي يرى أن النظام الاجتماعي يحتل الريادة فوق مستويات الأفراد نتيجة لاعتماد الأقلية فلسفة القوة، وهذا تعبير عن الظروف السائدة في تلك الفترة التي امتازت بالصراع، وهذا المدخل يصطلح عليه نظرية الصراع التي تفسر نشأت البناء الاجتماعي على أساس وجود الصراع بين الجماعات هذا من جهة، ومن ناحية أخرى هناك نموذج آخر يتعارض مع النموذج الأول، من خلال بناء النظرية، والذي يقوم على أساس فكرة التساند ويتجلى ذلك في تصورات دوركايم في منهجية تحليله للأسباب التي تؤثر في النظام الاجتماعي، ويبرز التعارض بين تلك النماذج النظرية في التفسيرات والتحليلات التي تقوم بها لوصف الواقع الاجتماعي من حيث البناء والتنظيم(معن، 1997، ص41).

- صياغة الفروض والنسق الشكلي: تمثل مرحلة صياغة الفروض، من أهم مراحل بناء نموذج النظرية، وتكمن بإعداد سياق من الفروض، وإضافة تخمينات إلى مستوى السياق الشكلي، هذا الأخير يرمي إلى تحديد طبيعة العلاقة بين المصطلحات التي تتضمنها الفروض، فهناك علاقة بين الفرضية والسياق الشكلي، غير أن السياق الشكلي ليس من المهم أن يكون مستخلصا من تحليل الفروض، لذلك فالنظرية السوسيولوجية تتألف من عدة نماذج نظرية، والتي تتقاطع و تتعارض في جملة من التصورات، وهذه النماذج هي عبارة عن جملة من الفروض أو الافتراضات التي تتسم بالترابط بمجموعة من المصطلحات والمفاهيم الهامة الأخرى.

4-4-2- البناء المنهجي

يمكن أن نميز بين ثلاثة مناهج أساسية اعتمدها المشتغلين في حقل علم الاجتماع في تحليل الظواهر الاجتماعية.

- منهج التحليل البنائي: يسعى هذا المنهج إلى وصف وترتيب الأشكال البنائية البارزة في الظاهرة الاجتماعية، ليسعي من خلاله عالم الاجتماع الوصول لإقرار المميزات والسمات البنائية الظاهرة في التفاعلات داخل النسق الاجتماعي، وللبناء الاجتماعي من خلال نسقين، النسق العمودي والنسق الأفقي، ليهدف النسق العمودي إلى السيطرة والضبط، والنسق الآخر يرمي إلى تعيين مكان أو موقع المسؤولية مع الأخذ بعين الاعتبار مستويات التخصص وتقسيم العمل(محمد الحسن ،2006، ص38)

- منهج التحليل الوظيفي: اشتغل دوركايم على هذا النمط من التحليل، في دراسته لظاهرة التضامن الاجتماعي، وهذا في إطار تحليل النظم الاجتماعية، وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية، فلكل منها وظيفة تؤدي إلى حفظ النظام وتوازنه، وهناك اهتمام من المفكرين حاليا إلى الاهتمام بالمنهج البنائي الوظيفي الذي يتألف من إطار تكاملي يجمع بين هذه المناهج في دراسة التنظيم الاجتماعي.

- **منهج التحليل السببي:** يهتم منهج التحليل السببي لتحديد طبيعة العلاقات السببية في بروز الظاهرة الاجتماعية وكذلك الظروف التي تتسبب في حدوث هذه الظاهرة، ويعتمد على أدوات منهجية كالأدوات الإحصائية والتجريب، كما يعتمد هذا المنهج على طرائق تجريبية للتجسيد الإمبيريقي في دراسة المواقف الاجتماعية في المجتمع، إلى جانب التقنيات الإحصائية، ولتحديد أسباب حدوث الظاهرة وعواملها يعتمد هذا المنهج على التقييم التاريخي للحوادث التي وقعت بها (طبعت والزيات، 1999، ص41).

4-4-3- الأنماط الرئيسية للنظرية السوسيولوجية

يمكن تحديد الخصائص الأساسية للنماذج النظرية على النحو التالي:

- **النموذج العضوي(البنائية الوظيفية):** يعتقد هذا النموذج أن المجتمع نسق يتألف من فروع ذات علاقة فيما بينها، وكل جزء منها يؤدي وظيفة محددة، فالمجتمع هو النقطة المحورية التي تتقاطع فيها كل من المدرسة العضوية والبنائية الوظيفية، ويعتقد المدخل العضوي بوجود جملة من القوانين الطبيعية في المجتمع تؤدي بأساليب آلية عضوية ديناميكياتها، في حين أن تطور النسق الاجتماعي في مراحل نموه، وهناك من يعتقد بأن المجتمع في شكل يتوافق مع شكل الكائن العضوي، وهذا النمط بارز في مؤلفات دوركايم، حيث تدفع الفرد إلى الاعتماد بشكل كلي على الجماعة في ميادين التفكير والأداء، وذلك من تفسير مؤداه أن الجماعة تسبق الفرد في وجودها، لذلك فالمجتمع كائن متكامل متجانس يعتمد على نسق تقسيم العمل الذي يرتبط بأنواع من المعايير التي تربط الفرد بالبيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

أما التوجه الثاني الذي يتمثل في المدخل البنائي الوظيفي الذي يعتقد أن المجتمع في إطار المشكلات الأساسية، وتظهر هذه المحاولات في مؤلفات روبرت ميرتون الذي عمد لهندسة نظرية في علم الاجتماع، حيث كانت نقطة بدايته من خلال نقده للنزعة الوظيفية عند أستاذه تالكوت بارسونز، وبالرجوع إلى تصوره للنسق يعتقد ميرتون أنه إذا ما تمت دراسة بعض الانساق في عالم الواقع(السيد، 2004، ص175)، فمن المؤكد أن ترشد هذه الدراسة إلى مدى أوسع من الاحتمالات التجريبية، فأولا يمكن أن تعمل العناصر وظيفة ايجابية في نسق أو آخر، وأن تكون هذه العناصر معوقات وظيفية لعناصر أخرى معينة أو للنسق الكلي وبوجه عام فإن النموذج العضوي أو البنائي الوظيفي يتصور المجتمع نسقا عضويا متكاملا.

- **نموذج الصراع مقابل التوازن:** يركز نموذج الصراع مثل النموذج البنائي الوظيفي على النسق، ويعتقد أن الصراع عملية حتمية ومفروضة في إطار النسق في مكان اثبات التجانس والتكامل بين أجزاء النسق، ويتشكل الصراع في المجتمع، وهو في حالة تطور مستمر، ومدخل الصراع التقليدي يعتبر بارزا في مؤلفات كارل ماكس الذي انتهج مبدا المادية الجدلية، عند تحليله لتاريخ نضال الفرد مع الطبيعة ومع نفسه، وتحاول نظرية الصراع المعاصرة إعادة صياغة المدخل الماركسي لتجعله أكثر توافقا لتفسير طبيعة المجتمع المعاصر، من خلال ادماج مقاربة الصراع في علم الاجتماع المعاصر في توجهات وتخمينات المدخل الراديكالي، ومن أهم رواده، **رايت ميلز**، والذي واكب الماركسية في تطلعاتها واشتغل بعلم الاجتماع التطبيقي بدلا من علم الاجتماع النظري، ومن ثم يعتقد نموذج الصراع الراديكالي إلى المجتمع باعتباره نسقا تسيطر عليه قوة متصارعة، تتشكل من صراع الأفراد لتلبية الحاجات الأساسية، الفيزيقية(ريترز،2002، ص81).

- **الاتجاه السلوكي (النموذج الاجتماعي النفسي):** يعتقد المنطوين تحت توجه السلوكية الاجتماعية أن المجتمع في وضعية الوحدة الصغيرة الشكل والعلاقات الشخصية المتبادلة، كما تناول ماكس فيبر و كذلك جورج هربرت ميد الإنسان من خلال كونه نتيجة لمجتمع معين، وتم التركيز في

دراستهما على قاعدة السلوك الاجتماعي وعمليات التفاعل الدينامي، وفيما يتعلق بالنظرية الاجتماعية النفسية المعاصرة، فركزت اهتماماتها على طبيعة تكوين البيئة الاجتماعية، بالإضافة إلى حجم العلاقة التبادلية بين الفرد وبيئته، وتهتم كذلك في تحليلاتها على العديد من المجالات ذات الصلة كعمليات التنشئة الاجتماعية، والأدوار والمراكز الاجتماعية، وتتألف عليها العديد من المقاربات النظرية وخاصة نظرية التفاعلية الرمزية ونظرية المركز الاجتماعي، ونظرية التبادل الاجتماعي التي اتخذ العديد من المفكرين الاجتماعيين المعصرين حيثياتها لتفسير السلوك الاجتماعي على غرار المفكر الفرنسي ميشال كرزييه في نموذج التحليل الاستراتيجي (كينلوتش، 1998، ص 43).

- **المقارنة بين النماذج الثلاثة:** تتباين هذه النماذج الثلاثة تباينا واضحا، فالبنائية الوظيفية تهتم بطبيعة التكامل الاجتماعي، في حين تركيز نموذج الصراع الماركسي على الصراع الراديكالي، واهتمام اتجاه السلوكية الاجتماعية على الوحدات الاجتماعية الصغيرة الشكل، بالإضافة إلى الاختلاف في أساليب الفهم والتحليل، في طيات رؤية كل مدخل بداية من التفسير الطبيعي والتركيز على كل النسق نهاية بالتركيز على نزعة التحليل الاجتماعي للنسق في المقاربات الحديثة، وبوجود نقاط التباين، توجد كذلك نقاط تقاطع بين هذه النماذج من خلال اهتماماها بأسس النظام والتغير الاجتماعي، والدور الذي لعبته التحليلات التجريبية، والمتصلة بطبيعة التفسير المتكامل بالاعتماد دائما على فكرة النسق.

5- علم الاجتماع وتطور النظرية السوسيولوجية

من الصعوبة بما كان أن يستوعب الدارس ومن المهتمين بالنظرية السيسيولوجيا، تحليل الظواهر والمسائل التي تركز عليها، من دون التطرق إلى جملة العوامل والظروف التي عبدت الطريق لتكوينها وتطورها، ولتفسير الأسباب الأساسية لبروز النظرية السيسيولوجيا التقليدية، دور جوهري بالغ الأهمية في تفسير الشكل الذي آلت له هذه النظرية في العصر الحديث.

ترتبط دراسة النظرية السيسيولوجيا بتاريخ علم الاجتماع، حيث يرز هذا العلم كنتيجة طبيعة لتشكل المجتمع الصناعي والرأسمالي، بداية من القرن 18، بتوفر العديد من الظروف الاجتماعية والفكرية التي ساهمت في بروز النظرية السيسيولوجيا التقليدية، كما أبرزت العديد من المؤلفات التاريخية أهم هذه الأسباب والظروف والتي تلخصت من خلال تلك الثورات السياسية التي انتشرت في أوروبا، وعلى وجه الخصوص الثورة الفرنسية لتبرز البنات الأولى لحركات التغير، والإصلاح الكامل، والذي استطاع بذلك من تبديل معنى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في أوروبا خاصة والعالم قاطبة.

كما تمثل الثورة العلمية نتيجة طبيعية من خلال ما توصل إليه المفكرين إذا تم التعمق في أدراج التاريخ على أنه أكبر بكثير من مجرد سرد لأحداث أو وصف مرتبط بالزمن، فهو بذلك يشكل انتقالا كبيرا في تصورات العلم، وقد تجسدت هذه الملحمة من قبل على يد العلماء أنفسهم خاصة في دراسة الإنجازات العلمية المكتملة(كون، 2000، ص41).

5-1- طبيعة العلاقة بين المخيال السيسيولوجي والمدخل الإمبيريقي

في الوقت الذي يفسر فيه المشتغل في الحقل السيسيولوجيا الواقع الاجتماعي فهو بذلك يعتمد على نظرية سيسيولوجيا، تأخذ مصداقيتها من نتائج الدراسات الإمبريقية لهذا الواقع الذي يتضمن بدوره كل النتاج الفكري للإنسان من قواعد للتنظيم ونظم ثقافية، تعكس صور هذا الواقع في مخيال الباحث السيسيولوجي.

وتتصف دراسة المجتمعات التي تعتمد على المخيال السيسيولوجي بأنها تنشط من خلال ثلاثة قضايا، والتي تدور حول طبيعة البناء الاجتماعي وعناصره، وطبيعة العلاقة بين أجزائه، مكان المجتمع موضوع الدراسة من التاريخ البشري، والمغزى الحقيقي لوجوده في إطار التطور الإنسانية، طبيعة نماذج الرجال والنساء، ومعنى كل سمة من سمات المجتمع بالنسبة للطبيعة الإنساني، وتشكل هذه المواضيع محاولة الدراسات الكلاسيكية للفرد داخل المجتمع، والأسئلة التي يثيرها أي تخمين يتسم بالمخيال السيسيولوجي(السيد، 1985، ص192)،

وانطلاقا من محور المخيال السيسيولوجي يمكن ايجاز أبرز الانتقادات التي طرحها رايت ميلز للنموذج الإمبيريقي المجرد، التي تتشكل في في العلوم الاجتماعية، هذه الأخيرة اهتمت بفلسفة العلوم التجريبية والطبيعية في دراسة الإنسان، وركز إلى فكرة هامة مؤداها الانتقال بعلم الاجتماع على أساس أنه علم طبيعي يستعين بنفس التركيبات الاحصائية والرياضية المتعرف عليها في علم الفيزياء، ويعتبر هذا سقوط علمي فاضح حسب ميلز لهيمنة المصطلحات والمنهج والتقنيات، وأساليب صياغة التصورات الموضوعية في الدراسة، ليركز على المخيال سوسيولوجي يجسد من خلاله الباحث العلاقة بين الوقائع الاجتماعي بالأفكار اعتمادا على أساليب مميزة مبتكرة من خلال تأكيده على ضرورة تحديد واقع الظروف الإنسانية تحديدا موضوعيا، بإيجاد صيغا للأفكار والمفاهيم لكي يتم تبنيها من طرف الجماهير العريضة(عاطف غيث، 1990، ص20).

2-5- وظائف النظرية السوسيولوجية

يمكن إيجاز الوظائف التي تضطلع بها النظرية العلمية على النحو التالي:

- تضمين هوية العلم و موضوعاته الرئيسة ومجالاته، فهو من أبرز مهام النظرية العلمية الذي ينتج من خلاله أهمية التركيز بإبراز الدور التراكمي للمعارف، وعلى أساسه يتجسد ما يجب دراسته، وما هي المسائل التي لم تدرس بعد إضافة إلى ما تم التوصل إليه من نتائج؛

- تشكل النظرية العلمية نقطة بداية في دراسة الظواهر الاجتماعية و الطبيعية على حدٍ سواء، كونها تمنح للدارس الإطار التصوري لأبعاد وعلاقات الموضوع الذي يقوم بدراسته، وتحدد له المعطيات وكيفية تنظيمها و من ثم تصنيفها، وربط العلاقات والتداخلات فيما بينها، فالنظرية توفر للباحث التدابير العلمية التي سيتبعها عند القيام بدراست؛

- تساهم النظرية بعدد معتبر من المفاهيم والمصطلحات التي تضطلع بإثراء المعارف والعلوم، وذلك لأن كل مفهوم أو مصطلح يتضمن خبرة اجتماعية وأكاديمية خاصة، إضافة إلى كونه يمثل سياقا للعديد من الوقائع التي تشكل وتبني النظرية.

- من بين أهم الوظائف للنظرية القيمة العلمية التي تضيفها للدراسة في عملية جمع المعلومات والبيانات بالاعتماد على نظرية تعزز المعطيات وتفسر النتائج تمثل خطوة فعالة لكي لا يتم اعتبار الدراسة ناقصة أو شائبة، وبهذا فطبيعة العلاقة الجدلية بين النظرية والبحث العلمي على مستوى متميز من الأهمية، يجب على الباحث أخذه بعين الاعتبار عند القيام بدراسته، لكي تبقى النظرية تساعد على سيرورة الظاهرة في المستقبل، فالتنبؤ في إطار الوقاية يمثل عملية التحول من المعلوم من الحالات والوقائع إلى الحالات الغامضة، مع إمكانية الاستعانة من النظريات العلمية في مجالات التطبيق(محمد الحسن ، 2005، ص41).

- خاتمة:

تميز العهد القديم في أوروبا بسيطرة التفكير اللاهوتي الكنائسي على المشهد العام لتلك المجتمعات وهذه الهيمنة والسيطرة تجسدت في جميع مناحي ومجالات الحياة الاجتماعية لهذه الشعوب، ما يجعل الصراع قائما ومفتوحا على كل الاحتمالات بي التفكير الفلسفي الميتافيزيقي الذي يأخذ من اللاهوت والكنيسة قوته وتعاظمه ،وبين التفكير الفلسفي الوضعي الذي يحكم العقل البشري، ويعطي العلم والتفكير العلمي المنسجم الريادة والمقدمة، لتحتدم مشاهد هذا الصراع وتستمر لمدد زمنية طويلة، خاصة في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، لتتشكل قوى علمية على يد مجموعة من المفطرين والعلماء من خلال إطار الفلسفة الوضعية الذين مهدوا وعبدو الطريق لبروز علم الفيزياء الاجتماعية.

ومنه لعبت الفلسفة الوضعية أدوارا محورية وجوهرية في إعادة التوازن للمجتمعات الأوروبية، وقد استفادت بذلك من خلال جملة من الظروف والعوامل التي دفعت نحوى تقليص دور الكنيسة واللاهوت، ومن ثم القضاء عليها، من خلال القفزة النوعية التي عرفتها أوروبا بداية من عصر النهضة والثورة الصناعة بفعل العديد من المحاولات الحثيثة للكثير من العلماء والمفكرين، والتي تجسدت هذه المجهودات والتضحيات التي قام بها هؤلاء الرواد في بزوغ فجر ظهور علم الاجتماع على يد العالم الفرنسي أوغست كونت وسبقه أستاذه سان سيمون باصطلاح الفيزياء الاجتماعية على العلم السيسيولوجيا، واستفادت هذا العلم من المحاولات الجادة التي سعت إلى تمثيله بالعلوم التجريبية والطبيعية على نحو ما توصل إليه كل دارون وهربرت سبنسر من خلال المماثلة البيولوجية والعديد من الأعمال التي أرادت ان يكون هذا العلم مبنيا على التجربة بالاستعانة بجملة من الأدوات الرياضية والاحصائية في مجرى البحث الإمبيريقي والسيسيولوجي.

- قائمة المراجع

- بودون، وف .(1987). المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- جورج، طربشي .(2006). *معجم الفلاسفة*، ط3، لبنان، بيروت: دار الطليعة.
- شارلين، هسبيبر وباتريشيا، ليفي .(د س ن). *البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية*، ترجمة هناء الجوهرين، مصر، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- سيدني، دارك .(1941). *النهضة الأوروبية*، ترجمة، محمد بدران، مصر، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف.
- عادل ،العوا .(1986). *العمدة في فلسفة القيم*، ط1، سوريا، دمشق: دار طلاس.
- وليم كلي، رايت .(2010). *تاريخ الفلسفة الحديث*، ترجمة محمود سيد أحمد ط1، لبنان، بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- سفر بن عبد الرحمن، الحوالي .(1982). *العلمانية نشأتها وتطورها*، مكة، السعودية.
- إميل، برهية .(1985). *تاريخ الفلسفة الحديثة*، ج 7 ترجمة جورج طرابشي، لبنان، بيروت: دار الطباعة للنشر ولتوزيع.
- محمد، عمارة .(1997). *العلمانية بين الغرب والإسلام*، السعودية، الرياض: دار الوفاء.
- أنور، الجندي .(1986). *محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل، طابع الإسلام والأيدولوجيات*، السعودية، الرياض: دار الأنصار.
- زجريد، هونكا .(1991). *شمس العرب تسطع على الغرب*، ط3، لبنان، بيروت: دار الآفاق.

- عبد الباسط، عبد المعطي .(1981). *اتجاهات نظرية في علم الاجتماع*، مصر، القاهرة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- فاروق، عبد المعطي .(1993). *أوجست كونت، مؤسس علم الاجتماع الحديث*، ط1، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- محمد اسماعيل، قباري .(1989). *علم الاجتماع والفلسفة*، ط1، مصر، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- جاستون، بول.(1981). *تاريخ علم الاجتماع*، ترجمة غنيم عبدون، مصر، القاهرة: مطابع الدار القومية للطباعة والنشر.
- عبد الله محمد، عبد الرحمن .(2003). *النظرية في علم الاجتماع*، مصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عمر خليل، معن .(1997). *نظريات معاصرة في علم الاجتماع*، الأردن، عمان**:** دار الشروق.
- نبيل، رمزي .(1999). *النظرية السوسيولوجية المعاصرة، أصولها الكلاسيكية واتجاهاتها المحدثة قراءات وبحوث*، ***دار*** الفكر الجامعي.
- إحسان، محمد الحسن .(2006*). المدخل إلى علم الاجتماع*، الأردن، عمان**:** دار وائل للنشر والتوزيع.
- السيد عبد العاطي، السيد .(2004). *نظرية علم الاجتماع، الاتجاهات الحديثة والمعاصرة*، مصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- جورج، ريترز.(2002). *قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع*، ترجمة عبد الجواد مصطفى خلف، الكويت: مطبعة العمرانية.
- غراهام، كينلوتش .(1998). *تمهيد في النظرية الاجتماعية تطورها ونماذجها الكبرى*، ترجمة ،محمد سعيد فرح، مصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- توماس، كون .(2000). *تركيب الثورات العلمية*، ترجمة ماهر عبد القادر، محمد علي، ط 3، مصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- السيد، الحسيني .(1985). *نحو نظرية اجتماعية نقدية*، لبنان، بيروت: دار النهضة العربية.
- محمد عاطف، غيث .(1990). *الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر*، مصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.